

روح المعاني

الفعل وهو المجيء أي فبمجيء المذكورات فليفرحوا وتكرير الباء في برحمته على سائر الأوجه للإيدان بإستقلالها في إستيجاب الفرح والمراد بالفضل والرحمة إما الجنس ويدخل فيه ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة دخولا أوليا وإما ما في مجيئه من ذلك ويؤيده ما روي عن مجاهد أن المراد بالفضل والرحمة القرآن .

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل القرآن ورحمته أن جعلكم من أهله وروي ذلك عن البراء وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما موقوفا وجاء عن جمع جم أن الفضل القرآن والرحمة الإسلام وهو في معنى الحديث المذكور وأخرج أبو الشيخ عنا بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرج الخطيب وابن عساكر عنه تفسير الفضل بالنبي عليه الصلاة والسلام والرحمة بعلي كرم الله تعالى وجهه والمشهور وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة كما يرشد إليه قوله تعالى : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين دون الأمير كرم الله تعالى وجهه وإن كان رحمة جليلة رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقيل : المراد بهما الجنة والنجاة من النار غير الأولى كما لا يخفى وروي رويس عن يعقوب أنه قرأ فلتفرحوا بتاء الخطاب ولام الأمر على أصل المخاطب المتروك بناء على القول بأن أصل صيغة الأمر بالأمر باللام فحذفت مع تاء المضارعة وأجتلبت همزة الوصل للوصل إلى الإبتداء بالساكن لا على القول بأنها صيغة أصلية وقدوردت هذه القراءة في حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخرجه جماعة منهم أبو داود وأحمد والبيهقي من طرق عن أبي ابن كعب رضي الله تعالى عنه مرفوعا وقرأ بها أيضا ابن عباس وقتادة وغيرهما وفي تعليقات الزمخشري على كشافه كأنه صلى الله عليه وسلم إنما أثر القراءة بالأصل لأنه أدل على الأمر بالفرح وأشدّ تصريحاً به إيدانا بأن الفرح بفضل الله تعالى وبرحمته بليغ التوصية به ليطابق التقرير والتكرير وتضمن معنى الشرط لذلك ونظيره مما إنقلب فيه ما ليس بفصيح فصيحاً قوله سبحانه : ولم يكن له كفوا أحد من تقديم الطرف اللغو ليكون الغرض إختصاص التوحيد إنتهى وهو مأخوذ من كلام ابن جني في توجيه ذلك ونقل عن شرح اللب في توجيهه أنه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الحاضر والغائب جمع بين اللام والتاء قيل : وكأنه عنى أن الأمر لما كان لجملة المؤمنين حاضريهم وغائبهم غلب الحاضرون في الخطاب على الغائبين وأتى باللام رعاية لأمر الغائبين وهي نكتة بدیعة إلا أنه أمر محتمل وما نقل عن صاحب الكشاف أولسبالقبول .

وقريء فافرحوا وهي تؤيد القراءة السابقة لأنها أمر الخطاب على الأمل وقريء فليفرحوا بكسر اللام هو خير مما يجمعون 58 من الأموال والحرث والأنعام وسائر حطام الدنيا فإنها صائرة إلى الزوال مشرفة عليه وهو راجع إلى لفظ ذلك بإعتبار مدلوله وهو مفرد فروع يلفظه وإن كان عبارة عن الفضل والرحمة .

ويجوز إرجاع الضمير إليهما إبتداء بتأويل المذكور كما فعل في ذلك أو جعلهما في حكم شيء واحد ولك أن تجعله راجعا إلى المصدر أعني المجيء الذي أشير إليه و ما تحتمل الموصولية والمصدرية وقرأ ابن عامر تجمعون بالخطاب لمن خوطب بياأياها الناس سواء كان عاما أوخاصا بكفار قريش وضمير فليفرحوا للمؤمنين أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خبر مما تجمعون أيها المخاطبون وعلى قراءة فلتفرحوا وافرخوا